# الخروج إلى العودة

رواية

## محمود حجاج



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٧

حجاج ، محمود
الخـروج إلى العـودة / محـمـود حـجـاج . ـ
القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧.
١٠٤ ص ؛ ٢٠ سم
تدمك ٩ ٦٧٥ ٤١٩ ٩٧٧
١ ـ القصص العربية
( أ ) العنوان .
رقم الإيداع بدار الكتب ٧٤٩٤/ ٢٠٠٧
I.S.B.N 977 - 419 - 675 - 9
ديوى ٨١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الإخراج الفنى : ماجدة البنا

تصميم الغلاف : الحبيبة حسين

الإهداء

للشعوب المظلومة

للحكام الذين يظلمون شعوبهم

للمبادئ المهدرة

المؤلف

استيقظت من نومى على غير العـــادة متـــأخرا وقـــد تنبهت حواسى على رائحة بـــارود جعلتنـــى أشـــعر بالخطر كنت وحدى بالمنزل، الكائن على أحـــد أهـــم الميادين فى العاصمة، بعد أن سافرت زوجتى وأبنتى التي بلغَت سن الزواج وأبنى الذى لم يبلـــغ عامـــة الرابع بعد. نظرت إلى الصورة الموضـــوعة بجانـــب الفراش والتى تضمنا جميعا وقبلتها ثم شممت الهواء مرة أخرى وأنا لا أصدق تلك الرائحة الغريبة. سمعت صوت فرقعة قوية وصراخ وتأكد لى الشعور بالخطر فقمت من فراشى بسرعة واتجهت ناحية النافذة ولـــم افتحها بل وقفت خلفها أنظر من بين الفتحات الضيقة .. وتأكدت كل شكوكى : لقد فعلوها غـــدرا .. رأيـــت ثلاث دبابات تحتل الميدان الذى يطل عليـــه منزلـــى وعليها العلم العراقى متدليا كأنه يشعر بالخزى والعار

من فعلة أهله. أيقنت لحظتها والألم والحزن الممزوج بالغضب يعتصرنى أن غزو العراق لبلدى تمت فصوله الهزلية وبقيت فصوله الجدية المخزية الآتية بلا شك ... قلت لنفسى هذا وقت التماسك والشجاعة العاقلـــة .. لحظتها وأنا أرقب ما يحدث في الميدان قـــررت أن أرتدى ثيابى وأبقى فى منزلى أراقب الأحـــداث مـــن خلف النافذة ، ليس عن جبن منى ولكن لأنى إنســـان مدني مسالم لا أملك فى هذا الوقت أي فكر أو حتـــى خيال عن كيفية التصرف فى وقت الغـــزو العســـكرى المتسم بالغدر والغوغائية العسكرية .. كنت أتحـــرك داخل شقتى بحذر غير مبالغ فيه .. ذهبت إلى الثلاجة وفتحتها ووجدت أن زوجتى قد تركتها عامرة بالطعام الذي يكفينى عدة أيام قبل أن تســـافر هـــى وأولادى تحسرت متعجبا من نفسي لأنى لم أذهب معهم بحجة العمل .. ثم سمعت صرخات عالية وألفاظـــا قبيحـــة فجريت نحو النافذة .. رأيت ثلاثـــة جنـــود عـــراقيين

يتشاجرون على اقتسام بعض أشـياء سـلبوها مـن المتجر المجاور لمنزلى . ثم توالت الأحداث بسـرعة أتت سيارة مسرعة من أحد الشوارع الداخلـة علـى الدوار، ودارت دورة سريعة قبل أن تعاجلهـا أحـدى الدبابات بقذيفة فجرتها بالكامل وقتلت كل من فيها .. جرى الجنود العراقيون الثلاثة نحو السيارة ووقفـوا عن بعد يراقبون النيران وهى تحرق السـيارة بمـن فيها دون أن يحاول أى منهم إنقاذ من بداخل السيارة .. أخذوا يضحكون ثم تبدل ضحكهم فجأة إلى صراخ عندما سقطت ذراع سائق السيارة خارج النافذة وتبين لهم الزى العسكرى العراقى قبل أن تمسك فيه النيران . اتجه أحدهم إلى الدبابة التى أطلقت القذيفـة وهـو يصرخ مناديا قائدها :

– ماذا فعلت ؟ لماذا أصبته ؟ مـا رأيـتهم ؟ إنـه عراقى

أطل عليه قائد الدبابة من أعلى وقال فى بلاهة :

– ماذا بكم يا جماعة ؟

– أجاب جندى آخر لقد كان واحدا منا !

قطع حديثه دخول سيارة أخرى إلــى الـدوار حــاول سائق السيارة العودة بسرعة إلى الخلف عندما لمــح الدبابات ، ولكنه توقف بعد أن أطلق أحد الجنود دفعه الرشاش فى اتجاه السيارة أصــابتها فــى العجــلات الأمامية وفى الرادياتير فخرجت منــه نــافورة مــن الدخان الساخن ونزل قائد السيارة رافعا يديــه إلــى أعلى .. جري نحوه الجنــود الثلاثــة مثــل الكــلاب المسعورة .. ضربه أول جندى وصل إليــه قبــل أن يبتعد كثيرا عن سيارته بمؤخرة بندقيته فــى رأســه فأسقطه على الأرض ..أحسست بمعدتى تتلوى مــن الألم رغم أن الرجل لم تصدر منه أى آه ألم وطلبــت من الله له العون والغوث والصبر وهو جالس علــى الأرض مكورا جسده ممسكا برأسه .. بدا لى متألمــا عندما وضع الجندى الآخر طرف ســونكى بندقيتــه

أسفل ذقنه ليرفع رأسه على حد السونكى وقال فى لهجة ساخرة :

– لماذا لا تتوسل لنا كي لا نقتلك ..؟ ماذا معك فى السيارة ؟

ندت عنى صرخة ألم اعتصرت أمعائى عندما صاح الثالث وقد سال لعابه :

– إن معه فى السيارة امرأة غاية فى الجمال وطفلة فتح باب السيارة وأخرجهم فجرت الطفلة نحو أبيها مستنجدة وهى تصرخ باكية عندما رأته ينزف .

– بابا .. بابا

نظر الأب إليها بطرف عينه دون أن يستطيع أن يحرك رأسه لأن نصل السونكى كان مغروسا فى لحم رقبته وبدأ الدم ينزف من الجرح دون أن يبدو علي الأب أنه يشعر بالألم .. أمسك الجندي بالطفلة ومنعها من الوصول إلى أبيها ووضع الثالث فوهة بندقيته فى بطن الأم لمنعها من الحركة .. وضعت يدى على

رأسى وأنا أغمض عينى ورحت أدعو الله من قلبـــي وأنا أبكى بدموع غزيرة لا أســـتطيع أن أوقفهـــا أن ينجى هذه الأسرة الصغيرة من براثن تلك الوحـــوش الآدمية الطليقة لعن الله من أطلقها فى هـــذا الغـــزو اللعين الذى لا يجد له عاقل سببا وحيدا مقنعا غـــزو يقتل فيه العربى المسلم أخيـــه العربـــى المســـلم .. انتزعتني صرخات الطفلة على أبيها

- فكوا بابا .. بابا يا حبيبى يا بابا آه يا بابا

كانت صرخات الألم الصادرة من الطفلـــة ممزوجـــة بصرخات الخوف على أبيها وهى تـــراه ينـــزف ولا تستطيع أن تتحرك من مكانها لتمسك به أو بأمها لأن الجندي أمسكها من شعرها بدأت أشعر بالغثيان عندما أنطلق الجندى الملعون الممسك بالطفلة يضحك مـــن صراخها وصراخ الأم التى حاولت إنقاذ ابنتها من يده وهو يدفعها باليد الأخرى بعيدا وهى تقول :

- أترك البنت يا وغد

فى حين وقف الثالث مصوبا سلاحه جهة الأم وهو فى حالة من الذهول وزميله يؤنبه صارخا فيه :

- خذ المرأة بعيدا .. خذ المرأة بعيدا .

يئس الجندى الممسك بالطفلة من تحرك زميله فلطـم الأم فى وجهها بقبضة يده فتدحرجت للخلـف وهـى تصرخ ملتاعة وتجهش بالبكاء وذلك الجندى الكريـه يهز الطفلة من شعرها يمينـا ويسـارا فـى عنـف هستيري والطفلة تصيح بين بكاء شديد :

- ماما .. آه .. ماما .. بابا

نظرت الأم إلى ابنتها والغضب الجـارف يطـل مـن عينيها ثم قامت واقفة وهي تصرخ :

- يا كلاب .. يا كلاب

توقفت عن سب الجنود واهتز جسدها برعشة خاصة كأنها تنفض عنها الخوف وصاحت مشجعة زوجهـا وابنتها :

- تحيا الكويت .. تحيا الكويت .. تحيا الكويت

كان جسد الطفلة ينتفض من الخوف وعندما سـمعت هتاف أمها توقفت رعشتها ولكنها استمرت فى البكاء وهى ترى الجندى يرفع أباها بسـلاحه ليقـف والأب يتوسل إليه :

- أرجوكم خذوا كل مالى .. خذوا السيارة بكل مـا فيها دعونا فقط نمر .. دعونى أنا وأسرتى

ولكن كيف تصل كلمات أب مكلـوم إلـى أذن هـذه الجماعة من مجرمى الحرب وقعت بين أيديهم هـذه الأسرة التعسة .. أدركت وقلبى يتمزق علـيهم أنهـم سيلهون بهم قليلا قبل أن يقتلوهم وتنهدت وأنا أقول :

- يا لحظهم العاثر !

ولكنى قلت لنفسى مرة أخرى .

- وهل سيكون حظى أحسن من حظهم ..؟

كان الجندى الممسك بالطفلة يتسلى بهزها بعنف بين لحظة وأخرى كأنها قطعة قماش حتى أنهكت الطفلـة تماما ثم قذفها ناحية الأم التي تلقفت ابنتها وجثت

بها على ركبتيها وهى تهتف بين دموعها المرتجفة لتشجعها ، مما أثار الجندى فقال لزميله الثالث :

- خذ الطفلة بعيدا .. خذ الطفلة بعيدا

تردد الجندى قليلا وتمنيت أن يعصى الأمر ولكنه عندما رأى زميله يوجه سلاحه إليه انصاع له وهو يتلفت ساخطا بين الأم والأب وكأنه يقول فى نفسه :

- ماذا أوقعكم بنا ؟

كان الأب مستمرا فى توسلاته وهو يخرج كل ما فى جيوبه ويحاول أن يلفت رأسه ناحية زوجته وابنته دون أن يشعر بالألم منَ جراء دخول السونكى فى رقبته مسافة أطول كلما حاول الالتفات إليهم وكان الجندى يضحك من محاولته تلك ثم قال للأب

- تريد أن تنظر إليهم ؟

أبعد سلاحه وأكمل

- هيا أنظر .

كان الجندى الثالث يسحب الطّفلة غصــبا مـــن بــين ذراعى أمها فى حين جذب الآخـــر الأم مـــن رقبتهـــا وأوقفها وهو يحاول تقبيلها فدفعته فى صدره بقـــوة وهى تصرخ :

- يا سافل يا مجرم حرام علـــيكم يـــا ســـفله يـــا مجرمين

حاول الأب أن يجرى ناحية زوجتـــه لينقـــذها ولكـــن حارسه ضربه ببندقيته فوق رأسه فشجها وسقط الأب من قوة الضربة على الأرض مضـــرجا فـــى دمائـــه ووضع الجندى مسرعا مرة أخرى سونكى بندقيته فى قفا الأب الذى دار بسرعة ضاربا البندقية بيده فطارت من يد الجندى الذى لكمه الأب بقبضة يده لكمة قوية أسقطته على الأرض وجـــرى الأب ناحيـــة زوجتـــه محاولا إنقاذها من ذلك الحيوان الذى يحاول اغتصابها بالقوة وهى تصرخ :

- أنقذنى يا زوجي .. أنقذنا يا رب

لمح الجندى الممسك بالأم الزوج قادما نحوه فلكم الأم فى وجهها لكمة قوية أسقطتها على الأرض وعلــى وجهه تعبيرات الخسة والنذالــة ، ثــم اســتقبل الأب غارسا السونكي أسفل صدره فصرخت الأم ملتاعــة وراحت تلطم وجهها وهى تولول والطفلــة تنــتفض كأنها مسها تيار كهربائى وهى تردد بين دموعها :

- بابا .. ماما

أحسست برغبتى فى أن أتقيأ عندما رأيت الأب يسقط علي ركبتيه وقد نزف الدم من فمه ثم تمدد بجســده علي الأرض وفارقته الحياة . انتصــبت الأم واقفــة وصراخها يشق عنان السماء وجــرت ناحيــة قاتــل زوجها وهى تلعنه وتحاول أن تضربه بيديها الاثنتين ولكن لم يعطها الجندى الفرصة فقد ضــربها بكعــب بندقيته فى وجهها مرة أخرى ولكنها لم تســقط بــل ارتددت إليه مرة أخرى وعضته فى ذراعــه فصــرخ متألما قبل أن يضربها ببندقيته للمرة الثالثة فســقطت

على الأرض ورأسها ينزف بغزارة وقد تكور جسدها في ألم أخير ترتعش في حين وقف الجندى الغـادر منتصبا عند رأس المرأة كأنه حقق انتصـارا هـائلا وراح ينظر إليها في شماتة ثم غرس السونكى فـى ظهرها المتقوس .. انتفضت الأم وهى ترفع رأسـها وقالت وعلى فمها ابتسامة :

- تحيا الكويت

قالتها مرة واحدة ثم سقطت وأسـلمت الـروح إلـى بارئها .

فى نفس اللحظة أطلق الجندى الثالث الطفلـة وهـو يدفعها بعيدا قائلا :

- أجرى .. أجرى .. أنجى بنفسك

إنطلقت الطفلة تجرى وهى مترددة لا تعرف إلـى أى اتجاه أو أين تذهب ؟ .. ثم توقفـت فـى منتصـف الدوار تتلفت حولها لتجد الدبابات تحيط بها من كـل جانب نظرت إلى أبيها ثم إلى أمها ثم صرخت :

– تحيا الكويت .. تحيا الكويت

راحت تكرر هتافها قبل أن تنطلق عدة رصاصات من بندقية ذلك الجندى القذر أسقطت الطفلة وعلى فمها ابتسامة الخلاص من الخسة والغدر والظلم غير المبرر .

وجدت دموعى تجرى ولا أستطيع التوقف عن البكاء وأخذت أتراجع بظهرى مبتعدا عن النافذة حتى اصطدمت بالتليفزيون ففتحته ووجدت المذيعة تكاد تصرخ وهى تقول بصوت متهدج بين دموعها الغزيرة

– الصمود .. الصمود يا شعب الكويت .. نحن فداؤك يا كويت يا شعب الكويت لقد استنكر العالم كله ما يحدث ألان على أرضنا الغالية .. الصمود الصمود يا شعب الصمود .. نحن فداؤك يا كويت .

بدأت أسمع صوت طلقات الرصاص ثم انقطعت الصورة وسمعت عدة صرخات قبل أن ينقطع الإرسال تماما رفعت رأسى فالتقت عيناى بصورة أمير البلاد

المعلقة فى حجرة الصالون ووجدتنى أهتف بصــوت متهدج يمين الولاء الإخلاص له وأنا أتجه إلى بـــاب شقتى بعد أن سمعت طرقات قويـــة عليـــه بكعــوب البنادق.

فتحت الباب فأندفع ثلاثة جنود ووقف قائدهم شاهرا سلاحه فى وجهى .. ووقفنا أنا والضابط فى مواجهة بعضنا لمحت فى عينيه نظرة حزينة وظل واقفا حتى فرغ الجنود من تفتيش الشقة وعادوا واحد تلو الآخر وهم يقولون كلمة واحدة :

- ماكو .

دخل الضابط الشقة وهو يعتذر لي وأخذ يتلفت حوله ثم بإشارة من يده امسكني جندى من ذراعى الأيمن وآخر من ذراعى الأيسر ، ثم دفعانى إلى السلم بطريقة غير آدمية حتى أصبحنا فى الشارع وتلفت حولى راجيا أن لا يتركونى مع ثلة الوحوش الآدمية الذين رأيتهم منذ قليل يرتكبون أبشع جرائم الحرب وقد التفتوا إلينا بالفعل ولكنهم أداروا رؤوسهم إلى الجهة الأخرى وتنفست بارتياح عندما دفعنى الجندى

الممسك بذراعى الأيمن إلى الأمام وقال آمرا الآخـر وهو يضع سلاحه فى ظهرى :

– عد .

أومأ الأخر مدركا ما يعنيه زميله الذى لم يكن يثق فى ضابطة ويشك فيه ويتهمه بأنه يأخذ كل الغنائم الثمينة لنفسه وفى نفس الوقت يتعاطف مـع الكـويتيين .. دفعنى للأمام وسـرنا مسـافة قصـيرة ثـم دفعنـى للانحراف جهة اليمين فى شارع جانبى خرجنا منـه على ساحة كبيرة رأيت مجموعة مكونه من خمسـة أفراد من مواطنىّ وأحدهم زميلى فى العمل واقفـين تحت الشمس فانضممت إليهم قبل أن يـتمكن جنـدى الحراسة من دفعى تلك الدفعة القوية التى أسقطته هو على وجهه على الأرض قام بسرعة وكنت أنـا قـد اختفيت بين الواقفين وتلفت هو حوله محرجا ثم عاد أدراجه ليلحق بمجموعته .. تلفـت حـولى وقـدمت نفسى لأول واحد إلى جانبى قائلا له وأنا أصافحه :

- حمد الجابر محاسب

أجابنى وفى صوته رنه حزن وحسرة :

- عامر المنصورى تاجر كان شـــابا فـــى حـــوالى الثلاثين من العمر نحيفا تلفت حولى وأنا أسال :

- قل يا عامر ماذا يحدث ..؟ منذ متى وأنتم هنا ؟

أجاب :

- لا أعرف ؟ أحضرنى الجند من منزلى ولم أتناول أى طعام وأنا مريض بالسكر .. أرجوك إذا ســـقطت بالغيبوبة .. لم يكمل حديثه وأخرج من صدره بطاقـــة معلقة فى سلسلة ذهبية أخفاها بسرعة ولمحت فيهـــا بعض بيانات شخصية عنه مثل اسمه وعنوانه قلـــت لنفسى :

- وماذا ستفيد هذه البيانات ألان .. ؟

- ثم قلت له مشجعا :

- لا تخف يا عامر تشجع .. قطعت حديثى عنـــدما لمحت أحد زملائى فى العمل وأخذت عامر مـــن يـــده

متجها ناحية الزميل ثم تسمرت فـــى مكـــانى عنـــدما صرخ أحد الجنود الملتفين حولنا لحراستنا قائلا :

– أنت هناك .. لا أحد يتحرك من مكانه .. !

أطلق دفعة من رصاصات مدفعه فى اتجاهنا أسقطت أول اثنين فى مواجهته توفى واحد على الفور وسقط الثانى يتألم من إصابته دون أن يحاول أحد أن يتحرك لإنقاذه أحسست بأنه لابد أن يحاول أحدنا فعل شيى ما للجريح ، وفى الوقت نفسه أشار الجندى الذى أطلق النار علينا إلى عامر كى يقترب منه وأيقنت أنه لابد قد لمح السلسلة الذهبية وأنه يريد أن يأخذها منه ، تقدم عامر منه وهو مرتبك ولكن قبل أن يصل إليه صرخ الجندى وسقط بعد أن أصابته رصاصة طائشة أحدثت هرجا بين الجنود ، وأخذت أفكر بسرعة فى تصرف لا يجلب علينا أيه مشاكل .. تقدمت بحذر ناحية أحد الجنود وقلت له هامسا :

– لا يمكن أن نترك هذا الرجل المصاب يتألم ..

نظر المصاب إلى مستنجدا وهز الجندى كتفيه وتركنى مبتعدا وقبل أن أهم باللحاق به قال زميلى فى العمـل محتجا وصوته فيه توتر شديد وهو يحاول الهمس :

- مكانك يا حمد .. هل تريدنا أن نقتل جميعـا يـا رجل .. ! ؟

وقفت لحظات وأنا أحس بغيظ مكبوت وانتقل التـوتر إلى الآخرين عندما بدأت أتحرك ببطء ناحية الجـريح وعينى تراقب الجنود، التفت إلـىَّ بسـرعة أحـدهم موجها سلاحه ناحيتى وهو يشير لى بأن أقترب منـه .. مشيت ناحيته ببطء وكل المحيطين بـى يركـزون نظرهم علىَّ وهم مشفقون مما سيحدث لى خرجت من وسط المجموعة ووقفت مواجها الجندى بغير خـوف وتقدم هو ناحيتى خطوتين قبل أن يرفع سلاحه وقبل أن تنطلق الرصاصات من مدفعه الرشـاش سـمعت صرخة الضابط الذى اقتحم شقتى منذ قليل مناديا على هذا الجندى :

– أوقف الضرب .. أوقف الضرب يا جندى .. لماذا ؟ ماذا تفعل بهم ؟ هيا فكوهم .. فكوهم ..

ردد الضابط أوامره عندما لا حظ تردد بعض جنوده .. اقتربت من الضابط وقد فهمت المسألة، فهم أخرجونا من منازلنا لكى ينهبوها ولا حاجة لهم في قتلنا . قلت للضابط بعصبية محسوبة :

– هذا الجريح ماذا ستفعل معه ..؟ هل سنتركه يتألم هكذا ؟

أجابنى الضابط وفى عينيه نفس النظرة التى لمحتها قبل قليل ولاحظت اقتراب الجندى الذى لا يثق فيه منا قال :

– وكم ستدفعون ثمنا لإنقاذه .. ؟

أشرت بيدى بسرعة للواقفين معنا من الكويتيين أن يتمهلوا بعد أن رأيتهم يسارعون إلى إخراج حافظتهم .. وقد رأيت فى هذا الضابط فرصة جيدة لابد من

استغلالها للحصول على كل ما نريد إذا أحسنت المساومة معه فقلت :

- سندفع لك كل ما تريد نحن نريد فقط سيارة وجندى يؤمن وصولنا إلى المستشفى بسرعة قال أحد الواقفين :

- أنا لدى سيارة .. تلك الواقفة هناك انفعل الضابط معنا وقال آمرا أحد جنوده :

- هيا اذهب معهم إلى أقرب مستشفى ثم عد بسرعة .. مفهوم .

حدق الجندى فى الضابط فى بلاهة ثم شد نفسه وهو يقول :

- حاضر .

قلت معترضا بعد أن تذكرت ما حدث للسيارة التى ضربت منذ قليل في الدوار أمام منزلى .

- لا .. لا يصلح .. نريد سيارة مدرعة عليها علمكم حتى لا يعترضها أحد أنت ترى الجريح حالته

حرجة ولا نريد أن توقفنا الدوريات فى الطريق عـدة مرات وقد تطلق علينا النار أيضا

أطرق الضابط قليلا مفكرا وكاد أن يـرفض ولكنـى لاحقته قبل أن يفتح فمه قائلا :

= لقد رأيت حالا سيارة مدنية ضربتها إحدى دباباتكم فى الدوار هناك وكان فيها جنود تبعكم

أشرت ناحية الدوار وكان الدخان لا يزال يتصاعد .. لمعت عينا الضابط ثم قال :

– إذن هيا معي سنأخذ سيارتى .. اعترضت مـرة أخرى وقلت .. لا .. لا تصلح نريد .. أقصد سيارتك مكشوفة ولن نقدر أن نركبها بملابسنا المدنيـة أنـا أخشى على مصلحتك .

فهم الضابط ما أعنيه وقال :

– إذن ماذا ترى .. ؟ ماذا نفعل .. ؟

أجبته بسرعة :

- لابد من سيارة مدرعة أو دبابة بحيث نختفى نحن داخلها فلا يرانا أحد !

دهشت عندما وافق بإيماءة من رأسه وتلفت حوله ثم نادى ذلك الجندى الذى لا يثق فيه قائلا بلهجة آمره:

- اذهب وأحضر لنا سيارة مدرعة أو دبابة بسرعة

رفع الجندى حاجبيه مندهشا واقترب من الضابط وراح يهمس فى أذنيه حتى قال الضابط منهيا حديث الجندى معه قائلا فى لهجة احتقار :

- نعم .. نعم .. هذا مسئول المالية ومعه مفاتيح خزينة البنك وستشترك فى الغنيمة الذهبية أنتصب الجندى ولمحت البريق فى عينيه وهو يقول وعلى وجهه ابتسامة عريضة .

- حاضر أمرك سيدى .

لم أكن أتوقع أن يتطور الأمر إلى أبعد من هذا بل كنت أتصور أن المسألة كلها مسايرة من الضابط لنا ثم سيجد وسيلة ما للتخلص منا ولكن بعد فترة وجدت

سيارة مدرعة تدخل الطريق المؤدى إلينا ولم أصدق أنها آتيه إلينا إلا بعد أن وصلت إلى مكـــان وقوفنـــا وفتحت الكوة العلوية المثبت أمامهـــا مـــدفع ســـريع الطلقات ومدفع مضاد للطائرات وأطل منها الجنـــدى الذى غادرنا منذ قليل لتنفيذ أمر الضابط وهو يقـــول لضابطة :

– استعرتها من أحد أصدقائى وقلت له أننا ســـننقل بها جريحا رتبه كبيرة.

أشار له الضابط بالسكوت والخروج من السيارة ثـــم أمرنا أن نركب حاولت أن أعترض ولكن أشـــار لـــى الضابط بالسكوت واتجه ناحية مجموعة الحراسة وهو يقول لهم آمرا :

– انصراف .. هيا الحقوا بالسرية وأبلغوا القائد أن لدى بعض الأسرى سأقوم بتسليمهم إلى قيادة اللواء وسأعود قبل الليل .. هيا بسرعة شرع الجنود فـــى الجرى وهم يتلفتون خلفهم وتابعتهم حتى اختفوا ثـــم

التفت إلى إخوانى الذين كانوا يحاولون إدخال الجريح داخل السيارة المدرعة فقفزت لمساعدتهم ودخلت من الفتحة العلوية لأستقبله وهم يدخلونــه مــن البــاب الخلفى وركب الضابط وقال لى بعد أن استقر فى مقعد القيادة :

- هل سبق لك أن قدت سيارة حربية .. ؟

أجبت بعد أن تبينت أنه يحادثنى وقد بدأت أشك فــى نواياه

- لا لم أقد إلا سيارات عادية .

- تقريبا نفس النظرية .. قطع حديثه عنــدما رأى الجندى يتدلى من الفتحة العلوية وقال له آمرا :

- لا تدخل هنا .. ستبقى أنت فى الخارج أدخــل باقى المدنيين واجر أمامنا حتى لا تعترضنا دورية

قال الجندى وهو يشد جسمه خارجا ولكن فى لهجــة معترضة :

- حاضر ولكن لن أجرى سأتعلق فوق العربة

دخل عامر واستقبلته لمعاونته على الدخول وتراجع جالسا على الكرسى الخلفى وهو يقول :

- رفض الآخر الدخول معنا .. هل سنتركه .. ؟

قال الضابط وهو يحرك السيارة :

- دعوه

جلست فى المقعد المجاور للسـائق وأخـذت أرقـب الطريق من الفتحات الضيقة وأحاول فى نفس الوقت متابعة الضابط لأعرف كيف يقـود المعـدة الحربيـة سألت الجريح وأنا ألتفت إليه نصف التفاته حتـى لا يشك الضابط أنى أراقبه :

- كيف حال جرحك ؟ .. هل يؤلمك كثيرا .. ؟ مـا اسمك ؟

- نعم يؤلمنى جدا لقد أصابنى الوغد فى فخذى .. اسمى جابر العويضى

تنحنحت وأنا أرفع كتفى مبتسما للضابط الذى نظر إلى ولم يعلق مما جعلنى أعود للشك فى أمره :

وماذا يريد منا ؟ ولكن لم يطل شكى كثيرا فقد قال الضابط بعد فترة صمت قصيرة .

– أظن أنك تشك في يا حمد .. ؟

نظرت إليه ولم أرد فأستطرد وفى صوته رنه حــزن عميق مملوءة سخرية :

– لقد قررت أن أنشق عن الجيش بعــد أن رأيــت الفظائع التى يرتكبها جنودنا تجاه المدنيين العزل من السلاح أعتقد أن هذه أكبر مهزلة عربية فى التــاريخ المعاصر .. وليس لها ما يبررها

كدت أسأله لماذا وكيف اشتركت فيها ولكــن إيقــاف السيارة فجأة منعنى من الكلام ونظرت من " مزغــل" السيارة الأمامى لأجد دبابة واقفة تسد علينا الطريــق والجندى المرافق يحاول أن يقنع قائد الدبابــة بــأن يفسح لنا الطريق وقد فهمنا ذلك من إشــارات يديــه التي فهمنا منها أن قائد الدبابة يرفض تماما إفســاح

الطريق لنا تبادلت أنا والضابط النظرات ثم قال قبل أن يفتح باب المدرعة ويخرج :

– اسمع يا حمد إذا لم أعد خذ أنت المدرعة وارجع وحاول أن تسلك طريقا آخر

فتح الباب وخرج قبل أن أتمكن من الـرد عليـه أو الاحتجاج تلفت حولى، كنا نحن ثلاثة كويتيـون فـى موقف لا نحسد عليه نرتدى ملابس مدنيـة ونركـب مدرعة عراقية ولا نعرف ماذا نفعل ؟ أخذت أراقـب الضابط من فتحة السيارة الأمامية كان منهمكـا فـى حوار مع قائد الدبابة الذى لم يكلف نفسـه حتـى رد التحية مع أنه كان أقل رتبة .. انعقـد لسـانى مـن الدهشة عندما رأيت الضابط يخرج من جيبه حزمـه نقود ويناولها لقائد الدبابة الـذى خطفهـا بسـرعة واختفى هابطا وما هى إلا لحظات حتى بدأت الدبابـة تتحرك مفسحة لنا الطريق عـاد الضـابط العراقـى

المنشق جريا إلينا وقفز خلف عجلة القيادة وهو يقول:

- لا أعرف ماذا غير نفوس أبناء وطنى هكذا ؟ ولا كيف أصابهم جميعا الجشع والقسوة والطمع . لعـن الله من يطلق للفتنة والشيطان فى الـنفس البشـرية العنان .

كان كأنه يحادث نفسه فلم أرغب أن أعلق على كلامه وانتظرت حتى مررنا من أمام الدبابة وأنا أحـاول أن أتوارى للخلف حتى لا يرانى قائدها الذى يبدو أنه كان مشغولا فى عد المبلغ الذي قبضه من زميله ثم قلت

- سيدى الضابط أنا لا أعرف أسمك .
- عقيد قاسم عارف .
- عقيد قاسم واضح أن لدينا عدة مشـاكل لابـد أن نجابهها فورا
- ما هى ؟
- أولا نحن الثلاثة نرتدي ملابس مدنية .

- وثانيا ؟

- كيف سنغادر البلاد ؟ هل هناك خطـــة ؟ وهـــذا الجريح

قاطعنى قاسم بهدوء أغاظنى .

- أولا سنأخذ الجريح إلى المستشفى .. ثم بعد ذلك لا بد أن نخفى السيارة فى مكان آمن حتى نستطيع أن نفكر بهدوء وحتى يحل ظلام الليل بعد ساعتين :

- ولكـــن مســـألة الجـــريح نفســـها مشـــكلة لأن المستشفيات كلها تحت السيطرة الكاملة لجنودكم

تدخل عامر بصوته الجهورى فى الحوار قائلا :

- لى قريب فى المستشفى العام نستطيع أن نتصل به ليساعدنا

قاطعه قاسم .

- فكرة ممتازة أين المستشفى العام ؟

أجبته بسرعة .

– قريب جدا .. إتجه من هناك إلى اليمين وسترى البوابة الرئيسية فى مواجهتنا مباشرة .

– خوش

عندما وصلنا أمام البوابة أوقف قاسم السيارة ونــزل منها وهو يقول لعامر .

– ما أسم قريبك ؟

– اسمه بدر السالم

انطلق الضابط قاسم وهو يقول :

– من الأفضل أن تنتظرونى هنا

مرت اللحظات بطيئة ونحن ننتظره فى تــوتر بــالغ وعاد أخيرا وهو يسرع فى خطواته فتح باب السيارة وقفز داخلها وهو يقول :

– وجدته وطلب أن نقابله عند الباب الخلفي درنــا بالسيارة حول المستشفى ووجدنا الممرض منتظــرا أمام البوابة نزل قاسم ونزلت معه لمساعدة جابر الذى همس فى أذنى ونحن نحمله وننزله من السيارة :

- لن تتركوني أريد أن أذهب معكم أرجوك ستعودون لتأخذوني

أومأت له برأسي موافقا ولكني لم أستطع أن أعده شيئا فقد كان جرحه عائقا وموقفنا صعبا، وزاد من صعوبته وصول سيارة نصف نقل محملة ببعض الجرحي من الجنود العراقيين كان معهم ضابط عراقي برتبة ملازم أو نقيب لا أعرف توجه من فوره إلي العقيد وقال وهو يؤدي التحية مشيرا إلينا :

- هل لي أن أسال يا سيدي من هؤلاء ولماذا .. ؟

قاطعه العقيد بسرعة .

- هذا جريح كما ترى وهؤلاء أسرى وألان عليك أن تسرع بتسليم جرحاك وتعود إلى وحدتك

- حاضر سيدي ولكن لدينا في الوحدة سيارة مملوءة بالأسرى سيتم ترحيلهم غدا إلى بغداد هل تسلمني هؤلاء يا سيدي لأضمهم إلى باقي الأسرى

أرتبك العقيد قليلا وراح يقلب بصـــره بينـــى وبـــين الضابط ثم قال أخيرا

– لا سأسلمهم إلى قيـــادة اللـــواء بنفســـى فهـــم شخصيات مهمة فى أى وحدة أنت ؟

أجاب الضابط

– الكتيبة السادسة والأربعون يا أفندم .

أضاف قاسم آمرا فى لا مبالاة :

– انصراف سلم الجرحى ثم عد إلى وحدتك بسرعة

أدى الضابط التحية واستدار وهو يحث قائد الســـيارة النصف نقل على الإسراع وركبت أنا وقاسم الســـيارة المدرعة ونحن نتنفس بارتياح لخروجنا من المـــأزق ويبدو أن قاسم كان يفكر مثلى لأنه قال وهـــو يـــدير محرك السيارة وينطلق بها خارجا من باب المستشفى

– لن يكون المأزق الأخير .. ما زال هناك ساعتان قبل حلول الليل لابد أن نجد مكانا نختبئ فيه :

- لدى المكان .. ولكن لـــدينا مشـــكلة .. عــدة مشاكل فى الحقيقة ..

قاطعنى الجندى الجالس فوق ظهر السيارة المدرعـــة وأشرت أنا إليه في نفس اللحظة علي أنه أول مشكلة قال الجندى موجها كلامه للضابط قاسم :

- سيادتك ماذا سنفعل ألان ؟

أشار له العقيد بالنزول من فوق السيارة وانتحي بـــه جانبا وهو يوهمه بأنه يهمس له فى حين أننـــا كنـــا نسمعه قال :

- اسمع يا ما اسمك ؟
- عبد السلام يا أفندم .
- اسمع يا عبد السلام إننا هنا لنعد خطه للاستيلاء علي غنيمة كبيرة فأصبر معنا
- حاضر ولكنى جائع يا أفندم .
- عندما نصل إلي المكان الذى سنضع فيه خطتنـــا سأرسل لك طعاما انتظر معنا

انطلق قاسم بالسيارة وغادرنا المستشفى قبل لحظات من وصول دورية عراقية استلمتها وتوزعت على جميع أبواب المستشفى للحراسة. وجهت قاسم حتى وصلنا إلى الشارع الواقع خلف منزلى ونزلت من السيارة بسرعة وأنا . أتلفت حولى خشية أن يرانا أحد وفتحت الباب المؤدي إلى الساحة الواقعة خلف المنزل والتي كنا نستخدمها كجراج للسيارات أخرجت سيارتى أولا ثم بمساعدة الجندى العراقي أخرجنا سيارة أخرى دفعا وأشرت لقاسم للدخول بسرعة وقمت بإغلاق الباب وتنفست بارتياح ونزل قاسم من السيارة وهو يقول للجندى :

– أبق هنا ولا تدع السيارة تغيب عن عينك لحظة واحدة مفهوم أدى الجندى التحية وهو يقول :

– حاضر يا أفندم لكن الطعام يا سيدى الضابط .

– سأرسله لك .

لم يكن شكى فى قاسم قد فارقنى بعد ومن ثم تمهلت قليلا قبل أن أنطلق معه على السلم وخلفنا عامر وبمجرد أن دخلنا الشقة قال قاسم بلهجة لم تعجبنى :

– هيا أعدوا للجندى أى شئ يأكله

فتحت فمى لأعترض ولكن عامر سبقني وقال .

– حاضر سأعد له ولنا الطعام أين الثلاجة ؟

أشرت له إلي مكانها وجلست فى أول مقعد صادفته وأنا أنظر فى تحد وغضب إلي قاسم ثم سألته وفى صوتى نبرة غضب حادة لم أستطيع أن أتحكم فيها :

– لماذا تريد أن تنشق على جماعتك ؟

– لقد قلت لك .. المسألة معقدة جدا فأنا كقائد فى هذا الجيش لا أستطيع أن أتحكم فيه .

– ولكن لماذا تريد أن تهرب من الجيش وتنشق على جماعتك ؟

– لقد قلت لك .. المسألة معقدة جدا فأنا كقائد فى هذا الجيش لا أستطيع بين يوم وليلة أن أتحول إلى

مجرم حرب وأوافق على إراقة دماء الأبرياء من الأطفال والنساء وأستحل العزل وأوافق علي انتهاك الأعراض فى الطريق مهما كانت الأيدلوجية أو المبررات أو مهما كانت الأعذار السياسية أو التاريخية كما حاولت القيادة السياسية تبرير هذا الغزو الذي تحول إلي عمل لا أخلاقى وغير أدمي بل وشرير إلى أبعد ما يمكن تخيله من شر أنا جندى محترف لى شرف الجندية ولا أستطيع أن أشترك فى هذه المخازى

كنت أتابع حديثه وفي عينى نظرة شك لابد أنه لاحظها فقد أضاف :

– يبدو انك لا تصدقني لأنى دخلت بيتك وأمرت الجنود بإخلائك منه لقد فعلت هذا لمصلحتك فلو كنت اعترضتهم لكانوا قتلوك على الفور لقد تحولوا من جنود إلى قتله وسارقين إنهم لم يعودوا جيشا لدولة بل أصبحوا مجموعة من المرتزقة الحثالة التى لا

خلق لها .. غوغاء لا يستطيع أحــد أن يقــف فــى طريقها ويكبح جماحها

خرج عامر من المطبخ يحمل صينية وضع فوقها مــا وجده من طعام وهو يقول :

- هناك طاولة أخرى أعددتها لنا .

تابعناه ببصرنا حتى خرج وجلسنا ننظر إلى بعضــنا دون أن نتحدث ثم قلت أخيرا وأنا أنظر فى ساعتى :

- لقد أوشك الليل .

قال قاسم متسائلا :

- هل لديك خريطة للمدينة حتى نستطيع أن نحــدد أفضل طريق للخروج منها أجبته باقتضاب :

- نعم .

استوقفني دخول عامر ومعه ثلاثة رجال وقال مبــررا وجودهم معه .

- طرقوا الباب الخلفى وطلبوا طعاما الأخ مصــرى والآخران من السودان

تقدم المصري وفى عينيه نظرة مندهشة من وجـود ضابط عراقى معنا وهو يقول :

- اسمي أحمد عنبر .. أعمل بوزارة الماليـة أنـا والأستاذ بشير .. الأخ رتبة عراقية كبيرة ؟

قاطعه السوداني الثانى مقدما نفسه لنا :

- وأنا بخيت نميرى مدرس فى ..

قاطعته موجها حديثى للمصرى :

- في أي قسم تعملان ؟

- في الإدارة العامة قسم الحسابات .

- مع الأستاذ رزيق الجابر ؟

- نعم سيادتك في الوزارة ؟

- نعم ولكن .

قاطعنا العقيد قاسم قائلا .

- فلندع التعارف فيما بعد هـل تسـتطيع إحضـار الخريطة الآن فليس لدينا وقت نضيعه والطريق أمامنا طويل أجبته باقتضاب :

- طيب .

ثم أضفت موجها حديثي للوافدين الجدد وأنا أشير إلى المطبخ .

- إذا أردتم طعام فالمطبخ من هنا

عندما عدت بالخريطة كان الجميع يأكلون ناولت قاسم الخريطة ولأني لم آكل أي طعام منذ الصباح مـــددت يدي وأخذت قطعة من الخبز وبعض الجبن وعدت إلي مقعدي في حين نفض قاسم يده من بقايا الطعام وأخذ يتصفح الخريطة ثم قام من مكانه وجاء وركع علـــى ركبتيه إلى جواري وهو يشير إلى بعـــض الشـــوارع علي الخريطة قائلا :

- أظن من هنا ثم من هذا الشارع إلى آخره ثم إذا سلكنا هذا الطريق نكون عند نهايته خـــارج المدينـــة

قلت ساخرا بعد أن انتهى من حديثه :

- نعم ولكن هذا الطريق سيؤدى إلى العراق .. هل تريد أن تأخذنا إلى العراق بمحض إرادتنا ؟ نحن سنسجن وأنت ستحاكم للهروب من الميدان

أجاب فى ثقة بعد أن لاحظ التفات المجموعة إليه :

- نعم هل لديك اقتراح آخر ؟ هل لدى أحد منكم اقتراح آخر ؟

قال عامر منفعلا :

- تريد أن تأخذنا أسرى بمحض إرادتنا .. ! ؟

قاطعته بعد أن فكرت بسرعة فى الأمر .

- لا تنس يا عامر أن أي طريق آخر للخروج من الكويت سيخترق خطوط الأعداء ..

توقفت قبل أن أكمل :

- أقصد خطوط الجيش العراقى المحتشدة الآن على حدودنا مع السعودية والخروج من أى طريق آخر غير الطريق إلي الأردن سيكون خطرا علينا لأننا

سنضطر لاختراق هذه القوات وهو أمر أعتقـد أنـه صعب

قاطعنى العقيد قاسم :

– هذا صحيح الاختراق حتى لو كـان فـى الليـل، فلابد من معرفة كلمات السر وأسباب التواجـد فـى مناطق المواجهة ومشاكل لا حصر لها بالإضافة إلـى أننا في حالة تعرضنا لأى دوريات ونحن في الطريـق المتجه إلى العراق أستطيع أن أدعى أنكم مجموعـة من الأسرى أقوم بتوصيلهم بنفسى للحدود وسـتكون فترة تعرضنا للخطر قصيرة ومرهونة بسرعة اجتيازنا للمسافة القصيرة الموصلة إلى حـدود الأردن إنهـا أفضل نقطة للعبور إلي الأردن أو سوريا، ثم لا تنسوا ذلك الجندى الموجود بالخارج وأعتقد أنه سيكون لـه أهمية كبرى فى المرحلة الأولى من مخططنا للخروج من الكويت بسلام إن شاء الله قفز بخيت نميرى مـن

مكانه كأن عقرب أو حية لسعته وقال وهو ينـــتفض بعصبية شديدة :

- تخططون للهروب من البلد .. لابد أن أبلغ عنكم السلطات

تشنج بشدة وهو يكمل موجها حديثه إلى قاسم :

- ضابط خائن لوطنه .

بدأ صوته يعلو واتجه ناحية باب الخروج فقفز أحمد عنبر من مكانه وأحاطه بذراعيه محاولا منعه ولكنـــه دفعه بكلتا يديه دفعة قوية أسقطته واستمر فى صياحه ضابط خائن ومعه مجموعة خونة

توتر الجو بشدة وأخرج العقيد قاسم مسدسه وأطلقه بسرعة على بخيت نميرى فأصابه فى رأسه إصـــابة مباشرة أسقطته على وجهه قبل أن يصل إلي البـــاب وسمعنا علي الفور طرقا شديدا على الباب جعلنا كلنا نقف وكأن أقدامنا ملتصقة بالأرض ما عـــدا الأســـتاذ بشير الذى بدا وجهه ممتقعـــا بشـــدة لمقتـــل رفيـــق

**جنسيته ثم تحرك قاسم أخيرا وفتح الباب ودخل عبـد السلام الجندى العراقى الذى تركناه بالخـارج وهـو يصيح :**

**- ماذا يحدث يا أفندم ؟ لقد سمعت طلقات**

**صاح العقيد قاسم فيه :**

**- ما هذا الطرق الشديد ؟**

**أضاف وهو يري عبد السلام ينظر للقتيل باستغراب .**

**- لقد حاول الهرب بعد أن عرف نوايانـا لاقتحـام البنك للإبلاغ عنا .. هيا الآن ليس لدينا وقت نضيعه لابد أن نخرج من البلد للتمويه ثم نعود إليها دون أن يرانا أحد حتى نبعد الشكوك عنـا عنـدما يكتشـفون سرقة البنك .. هيا لا تدخل علينا و لا تطرق الباب بهذه الطريقة مرة أخرى حتى نستدعيك مفهـوم أدى عبد السلام التحية وقال قبل أن يغادر الشـقة وعلـى وجهه ابتسامه صفراء :**

**- مفهوم يا أفندم .**

خرج الجندى ونظرت إلى قاسم نظرة طويلة ثم قلت له محذرا :

- لا أظن انه اقتنع بما قلت

أجاب قاسم :

- علينا أن نراقبه فهو الخطر الأول ولكنه مفيد لنا فى هذه المرحلة

أضاف بعد لحظه صمت :

- سأخرج أنا والجندى لنحضر لكم ملابس عسكرية

خرج العقيد قاسم من الشقة فى حين اقترب منى أحمد عنبر وهو يقول هامسا :

- هل تثق فيه ؟

نظرت إليه ثم نظرت إلى قاسم وهو يغادر الشقة ولم أجب .

- ٣ -

جلسنا نحن الأربعة أنا وعامر وأحمد عنبر والأستاذ بشير ننتظر عودة العقيد قاسم فى توتر يتزايد مع مرور الدقائق وكانت الأحداث الأخيرة قد أصابتنا كلنا بذهول أفاق منه عامر بعد ساعة فقام من مكانه وجذب مفرشا من فوق أحد الطاولات وغطى به جثه نميرى ثم عاد إلى مكانه دون أن ينبس بكلمة . في حوالى الساعة الواحدة صباحا رن جرس الباب بطريقة مفزعة وقمت من مكاني قفزا ناحية الباب وفتحته لأجد أمامى جنديا عراقيا لم أتبين ملامحه لأنه كان يقف فى الظلام ووقفت لحظات مرتبكا لا أعرف ماذا أفعل أو أقول له إلى أن مد يده إلي بكومة ملابس تناولتها منه فى نفس اللحظة التى أزاحه العقيد قاسم من طريقه داخلا الشقة وهو يقول بنبرة آمرة :

- هيا بسرعة كل واحد يأخذ ما يناسبه من الملابس العسكرية التى أحضرتها ويرتديها بسرعة .. لقد تأخرنا

أضاف آمرا الجندى :

- انتظرنا بالخارج يا عبد السلام حتى نستعد

تمتم الجندى ببعض الكلمات متبرما من المعاملة وهو يقول :

- لماذا يتشرفون بلبس الملابس العسكرية العراقية؟
- أسمع يا جندي لا نستطيع أن نتجول بحرية ومعنـــا أسرى مدنيين فهمت

هز الجندي رأسه غير مقتنع ولكنه خرج وقلت لقاسم هامسا :

- لقد ظننا أنك لن تعود !
- كان لابد أن أنتظر لأعرف كلمة السر هذه الليلة .
- ألا تظن أننا يجب أن نتسلح ؟ أين السلاح ؟

- لا لا داعي للسلاح فأنتم ستركبون السيارة في الخلف ولن يراكم أحد كما أرجو وهناك تنبيه هام للجميع بعدم التحدث مع أحد أثناء خروجنا من البلد حتى لا تنكشف لهجتكم وإذا أوقفتنا أى دورية عليكم أن تتصرفوا على أساس إنكم جنود في الجيش العراقى .. مفهوم ؟

لم نرد وانشغل كل منا فى تغير ملابسه حتى انتهينا وتبادلنا النظرات ثم قلت أخيرا لقاسم :

- نحن جاهزون

لم يرد بشير أن يغير ملابسه إلا عندما قال وهو يتردد بين كلمة وأخرى :

- أنا لن أذهب معكم

صاح قاسم محذرا بشير :

- هل تظن المسألة لعبة هيا أرتد الملابس وإلا ...

وضع قاسم يده فوق مسدسه فأسرع بشير وتناول الملابس وهو يختلس النظر إلى جثة النميرى وعندما

انتهي من ارتداء الملابس العسكرية وقف قاسم وهو ينظر إلينا طويلا كأنه يفتش على طابور ثم قال أخيرا بعد أن تنهد في يأس :

- هيا بنا ربما يحالفنا الحظ ونستطيع اختراق الحصار .

أضاف هامسا لى :

- راقب هذا السودانى جيدا فهو الخطر الثانى علينا جميعا

أشرت إليهم أن ينطلقوا ووقفت لحظات أدير بصرى فى البيت مودعا وكادت تفر دمعة من عينى ولكننى تماسكت وخرجت جريا وأغلقت الباب خلفى ثم نزلت السلم قفزا حتى وصلت إلى الجراج وكانوا جميعا قد ركبوا السيارة المصفحة وكان عبد السلام يفتح باب جراج الفيلا الخلفى واتجهت ناحية مقعد السيارة الأمامى وفتحت الباب وهممت بالدخول عندما

استوقفني العقيد قاسم بإشارة من يـــده وهـــو يقـــول معتذرا :

– من الأفضل أن تركب فى الخلف .. سيجلس عبـــد السلام إلي جوارى لأنه سيتولى فتح الطرق لنـــا فـــي حالة وجود حواجز أو ما شابه فى الطريق

تراجعت وأنا أقول لقاسم :

– ولكنى أعرف أفضل الطرق للخروج على كل حال لابد أن نخترق الدوار المواجه لمنزلي ثم ندخل في أول شارع إذا كنا سنتوجه إلي الأردن وهو الطريق الأسلم لنا أغلقت الباب بشدة وسرت خطوتين ناحية مـــؤخرة السيارة ولكني تذكرت جابر الذي أوصلناه جريحا إلـــى المستشفى ووعدى له بأن نعود لنأخذه معنـــا فعـــدت وفتحت الباب الأمامي وقلت :

سيادة العقيد قاسم علينا أن نعود إلى المستشـــفى .. أقصد أن نذهب إلى المستشفى فأنا أشـــعر بمغـــص حاد ولابد أن أحصل علي علاجى الخاص

أجاب قاسم وهو يشير إلى عبد السلام أن يركب إلـــى جواره :

- ليس لدينا وقت نضيعه فى هذا .. عليك أن تتحمل

قاطعته فى حدة :

- أقول لك لابد أن أحصل على علاجى الخاص و إلا سأموت فى الطريق وسيكون من الأفضل لى فى هــذه الحالة أن أبقى و لا أذهب معكم .

أضفت عندما رأيته مصرا على أن لا يستجيب لطلبى:

- إذن اذهبوا أنتم لا أستطيع أن أذهب معكــم فــتح قاسم الباب وقال بصبر نافذ :

- حسنا اركب سنمر على المستشفى رغم خطــورة تحركنا فى الليل داخل المدينة

أضاف ممتعضا وهو يقفل الباب :

- هل تظن أننا فى نزهة ! ؟

تعلقت بمؤخرة السـيارة وهـى تتحـرك فـى اتجـاه المستشفى ودخلت وأغلقت الباب خلفى وجلست خلف كابينة القيادة مراقبا الطريق تخطينا أول حاجز طـرق بمجرد أن ذكر العقيد قاسم كلمة سر الليل ولكن عنـد الحاجز التالى رفض الضابط المسئول أن يجعلنا نمـر وطالب العقيد قاسم بأمر مهمة وغطى صـياح العقيـد قاسم على صياح السودانى الـذي زاد الأمـر تعقيـدا عندما صاح بشير مناديا بأعلى صوته :

– خطفونى .. ويريدون مغادرة الكويت .. والعـودة لسرقة البنك .. انجدونى ..

أشتبك أحمد عنبر معه بقوة وضربه بقبضة يده لكمـة قوية أفقدته السيطرة على نفسه ثـم أمسـك برأسـه وضربها فى جدار السيارة المصـفحة فغشـى عليـه وسالت دمائه ونظر قاسم إلى لاثما وقال هامسا :

– رأيت هذه فكرتك .

فتح باب السيارة ونزل منها بسرعة وهو يقول للضابط المسئول .

– أسمع أن معنا جرحى ولابـد أن نوصلهم إلـى المستشفي بسرعة

كان صوت قاسم مرتفعا بحيث سمعته أنا والمجموعة فتحركنا بسرعة وأخذنا بعض قطع من الشاش وجدناها فى حقيبة الإسعاف الأولى ولففتها حول رقبة أحمد عنبر بعد أن غمستها فى دم بشير ثم أمسكت ببشير وأرقدته بحيث تكون رأسه جهة الباب الخلفى للسيارة وأشرت إلى عامر أن يلتصق بالجهة الخلفية بحيث إذا فتح الباب يكون مختفيا خلفه وبالفعل أمر ضابط الحاجز الجندي عبد السلام الذى كان واقفا مستعدا بمدفعه الرشاش بفتح الباب ولكنه تردد فصرخ فيه قاسم قائلا :

– ألم تسمع .. أفتح الباب بسرعة يا جندى .

– حاضر يا أفندم .

فتح عبد السلام الباب وأطل الضابط علينا والعقيد قاسم يقول متوسلا وهو يشير إلى بشير :

– هذا قريبى وهو ينزف كما ترى هل كنت تريـــد أن أنتظر لأخذ له أمر مهمة بعد أن أصـــيب فـــى عمليـــة فدائية ؟

رد الضابط وهو يشير له بالانصراف :

– لا بأس .. هيا المستشفى قريب أن شاء الله سليمة

انطلق قاسم بالسيارة حتى وصلنا إلى المستشفى وكنا ندعو الله أن لا تقابلنا أى حواجز أخرى حولها درنـــا وقفزت أنا من الباب الخلفى للسيارة بمجرد أن توقفت وقلت لقاسم وأنا أعدو داخلا :

– لحظات لن أتأخر

سألت أول ممرضة قابلتنى :

– من فضلك أبحث عن بدر السالم ؟

– لا أعرفه .. فى أى قسم ؟

لم أرد فقالت وهى تستدير منصرفة .

- لا أستطيع أن أدلك إلا إذا قلت لى على القسم قاطعتها متوسلا .

- أرجوك الموضوع خطير أنا أريد مريضا أسمه جابر العويضى أحضرته منذ عدة ساعات وهو مصاب بطلق نارى

- آه الأستاذ جابر .. ستجده فى ثانى عنبر إلى اليمين

شكرتها وأسرعت فى الاتجاه الذى أشارت إليه فتحت باب العنبر ودخلت درت ببصرى بين الجرحى مشفقا على كل واحد منهم حتى رأيت جابر فاتجهت إليه بسرعة ووجدته مستيقظا استقبلنى بفرحة وهو يقول :

- لقد عدت لتأخذنى أشكرك ولكنى لا أستطيع أن أذهب بدون صديقى هذا ..

أشار إلى السرير المجاور له حيث كان يرقد أحد المرضى وقد بترت ساقه فقلت لجابر :

- أرجوك يا أستاذ جابر أنت تعرف أننا لا نستطيع أن نأخذ معنا جرحى يحتاجون لرعاية طبية ونعرض حياتهم للخطر هيا أرجوك لا تجعلنى أندم لأنى عدت لأخذك معنا أسندته وهو يقوم ولم نكد نخطو خطوة واحدة حتى صاح جندى عراقى كان واقفا لحراسة العنبر :

- توقف هناك إلى أين تذهب بالأسير ؟

لا أدرى لماذا ارتبكت بشدة ربما لأنى لم أتذكر أننى أرتدى ملابس عسكرية عراقية ووقفت أنا وجابر والحيرة تبدو واضحة علينا وبدأ جندى الحراسة يتحرك فى اتجاهنا وهو ينظر إلينا فى شك وخشيت أن أنا رددت عليه أن يتبين لهجتى الكويتة ويفتضح أمرنا وفى آخر لحظة تدخل القدر لإنقاذنا عندما صاح بدر السالم من عند الباب بعد أن لمحنا واستطاع أن يستنتج بذكاء شديد ما يدور وموقفنا الذى لا نحسد عليه :

- ماذا يحدث هناك ؟ هيا يا جابر دورك لعمل الأشعة

أضاف موجها كلامه لجندى الحراسة :

- هل تريد منهما شيئا ؟

استدار الجندى عائدا وهو يقول بلا اكتراث :

- لا

استند جابر على كتفي وأسند بدر الأستاذ جابر من الكتف الأخر واتجهنا ناحية باب المستشفى وقبل أن نخرج تذكرت أنى أريد أدوية مخدرة لنحقن بها الأخ بشير حتى لا يثير لنا مشاكل في الطريق فقلت لبدر :

- أريد بعض الأدوية المخدرة وسرنجات نحتاجها في الطريق

- وهل تنوى الخروج من الكويت الليلة ؟

- نعم هل تستطيع أن تحضر لى ما طلبت ؟ .

- نعم بالتأكيد بعد أن نضع الأخ جابر بالسيارة

- لا .. لا الآن من فضلك قبل أن نخرج

- انتظرنى خمس دقائق فقط

عاد بدر بعد أن وضعنا الأستاذ جابر باحتراس داخــل السيارة واتجهت إلي مقدمة السيارة لأشــرح لقاســم سبب انتظارنا ولكنه أشار لي بالســكوت ونــزل مــن السيارة وعاد معى إلى الخلف حيث صافح جابر و أنا أقول له يريد الأستاذ بشير أن يتركنا ويــذهب ولكنــي قلت له أننا سنتركه عندما نصل إلى الحدود أومأ قاسم برأسه موافقا وهو ينظر إلى بشير باحتقــار .. ولــم تمض لحظات حتى حضر بعدها بدر الممــرض وقفــز داخل السيارة وهو يقول بإصرار :

- سأذهب معكم سألته .

- هل أحضرت المخدر ؟

أجاب وهو يجذبنى من يدي ليساعدنى على الدخول فى بطن السيارة .

- نعم هل تريد أن تحقن هذا الرجل ؟

أومأت برأسى وبدأ يجهز الحقنة وقبل أن يغرز الإبرة فى ذراع الأستاذ بشير أفاق.وجذب يده وهو يقول :

- لا .. لا أريد دعونى فقط أذهب ولن أبلغ عـنكم .. أرجوكم أنا لا أريد مغادرة البلاد أنا مستقر هنا فـى عملى وسأخسر كل ما أملك أرجوكم اتركونى

قاطعته بعد لحظه تفكير سريعة :

- لا لن نتركك هنا سنتركك تذهب بقرب الحدود حتى نضمن أنك لن تستطيع أن تبلـغ عنـا وبشـرط أن لا تحدث أي مشاكل إذا واجهتنا دورية أو حواجز عراقية .. مفهوم ؟

أومأ بشير ممتعضا ثم قال :

- يبدو أنكم لا تعرفون لماذا قامـت العـراق بغـزو بلادكم ؟

- أفدنا إذا يا أستاذ

- لقد فعلت ذلك لتثبـت أن إسـرائيل التـى تحتـل فلسطين احتلالا غير شرعى عليها أن تترك فلسـطين ولماذا يقف العالم كله ضد احتلال العراق للكويـت ولا يتحرك أحد لإجلاء إسرائيل عن فلسطين

قاطعته قائلا :

– هناك فرق كبير جدا بين المثليين .. إن علينا أن نفهم كيف يرى العالم هذه القضية لنستطيع العامل معها وحلها .. فالعراق قد استخدم القوة المسلحة لغزو بلد مستقل والذي حدث فى فلسطين هو أن اليهود استطاعوا السيطرة على البلد من الداخل أي انه كان هناك يهود فلسطينيين استطاعوا سواء بالشراء* أو بالمساعدات الخارجية الاستيلاء على الأملاك ومقاليد الأمور وتمكنوا من التكاثر سواء من خلال الهجرة المنظمة أو التناسل المدعم من الحكومة وفى غفلة من الحكومة الفلسطينية المسئولة التى تخلت بسهولة عن مقاليد الحكم ولم تنتبه للمخطط اليهودى والحل فى رأيى لابد أن ينبع من الداخل وبنفس الأسلوب اليهودى

* نشر فى الأهرام يوم السبت ٢٠٠٦/٤/١٥ أن فلسطينيا قد قتل لبيعه منزله لإسرائيلى مما يعنى أن المخطط ما زال مستمرا

فى الزحف على مراكز التحكم والسيطرة فى فلسطين بالتعايش السلمى إن الفرق واضح بين أسلوب العراق وأسلوب إسرائيل وتابعت حديثى لبدر :

- هل لديك أدوات إسعاف أولى لتعالج للأستاذ بشير رأسه ؟

أجاب بدر وهو يعيد الحقنة إلى الجراب الذى كان يخفيه فى ملابسه ويخرج كيس قطن زجاجة سائل مطهر

- نعم .. أدر رأسك ناحيتى يا أستاذ لو سمحت

أدار قاسم محركات السيارة وأنطلق بها وبدأنا رحلة الخروج إلى العودة كما أسميتها بينى وبين نفسى لقد كان هذا الشعور يتأكد ويتزايد فى قلبى كلما تخطينا عقبة واقتربنا من الخلاص والحرية التى لا محالة ستعيدنا أحرارا إلى بلادنا إذا استطعنا أن نخرج سالمين واستطعنا تجاوز وتخطى كل العقبات التى يمكن أن تواجهنا وخصوصا هذا السودانى الذى كنت متأكدا

أنه سيتحين أى فرصة ليكشف أمرنا أو ليهـرب منـا ولكن لم تمض لحظات حتى راح فى غفوة وقال بـدر بمجرد أن سقطت رأسه :

– سينام على الأقل أربع ساعات لقد كسرت حقنـة المخدر على المطهر وسأعطيه حقنة منومة.

تمكنا لا أعرف كيف من تجاوز كل الحواجز الموضوعة داخل المدينة وعندما وصلنا إلى آخر حاجز طرق وهو الذى يؤدى إلى الطريق السريع المتجه إلى الأراضـــى العراقية نزل العقيد قاسم من السيارة وتعرف على أحد أصدقائه القدامى وهو المكلف بالحراسة ودخـــل معـــه الاستراحة وتوقفنا لأكثر من ساعة ولم نعرف الســـبب لتوقفنا ولم يجرؤ أحد منا على الخروج من الســـيارة للسؤال عن العقيد وكانت السيارات التي تقف أمامنا إما واقفة فى انتظار التصريح لها بالسير أو معطلة أخيرا تحركت السيارات واضطررت أنا لقيادة السيارة ولكـــن لم نكد نسير مبتعدين عن بوابة الحدود الفاصلة بـــين الكويت والعراق بحوالى خمسة أمتار حتـــى توقفـــت سياراتنا وحاولت أن أدير المحرك عـــدة مـــرات دون جدوى وقال أحمد فى ثقة وفى صوته نبرة يأس:

- لقد نفذ البنزين .

فتح قاسم الشباك الصغير الموجود فى خلفيــة كابينـــة القيادة وقال بسرعة :

- انزلوا جميعكم علينا أن ندفع السيارة حتى نختفى عن أعين حرس البوابة على أحد الجوانب

فهمنا كلنا ما يعنيه وفتحت أنا الباب الخلفى للســـيارة وقفزنا واحد وراء الأخر ما عدا الأستاذ بشير الذي كان ما يزال مدعيا النوم ولكنه كان قد أفاق من مدة طويلة ولم يرد أن يشعرنا بأنه مستيقظ عندما خرجنـــا مـــن السيارة نظرنا جميعا إلى مكان البوابة التى غادرناهـــا منتظرين العقيد، وكنا نراها بوضوح وقدرت أنهم هـــم أيضا لا شك يرونا وقلت لقاسم عندما عاد :

- ما الذى أخرك كل هذه المدة افترسنا القلق ؟

أشار لى بالسكوت وهو يومئ إلـــى عبـــد الســـلام .. أجاب هامسا :

- ضابط الحراسة زميل قديم وأصر على أن أتنــاول معه الطعام ولم أستطع الرفض وإلا كان سيشــك فــى الأمر وعلى كل حال لا يزال الوقت معنا أمامنا ثــلاث ساعات قبل طلوع النهار والمسافة قريبة إلى الحــدود الأردنية ..

أضاف وهو يتجه إلى مقدمة السيارة :

- استمروا فى الدفع سأحاول أن أجعلها تدور يا عبد السلام علينا أن نبتعد بدرجة كافية حتى لا يرونــا والا فشلت الخطة التى قلت لك عليها سنعود مــن طريــق خفى بعد أن نختفى عن أعينهم

أجاب عبد السلام وهو يتخذ وضع المشرف المهم ويتوقف عن الدفع معنا :

- حاضر يا أفندم هيا ادفعوا بقوة بسرعة

ابتعدنا بدرجة كافية بحيث اختفت نقطة الحراسة عن أعيننا وتوقفنا لنستريح بجانب مقدمة السيارة وفى نفس الوقت ودون أن ينتبه أحد منا فتح الأستاذ بشير

الباب الخلفى وأخرج رأسه وراح يتلفت حوله ولكنه لم يستطع أن يتبين موقعه والا كان أطلق ساقية للريح فأظهر لنا رأسه مترددا ثم عندما تأكد أننا رأيناه قال متسائلا :

- أين نحن هل وصلنا إلى الحدود ؟ لقد قلتم ووعدتم أنكم ستتركونى عند الحدود أين نحن ألان لابد أن أعرف من حقى أن أعرف أنا لا أريد مغادرة الكويت ؟

قاطعه عبد السلام موضحا .

- ولا نحن سنغادر الكويت .

تدخل أحمد عنبر فى الحوار مقاطعا .

- ماذا بك يا أستاذ ؟ ألا تشعر بخطورة موقفنا ؟

اتجه عبد السلام ناحية العقيد قاسم وقال :

- سيدى ماذا يقول هذا ؟ هل سنغادر الكويت .. ؟

إلى أين نحن ذاهبون .. ؟

قاطع قاسم استرساله فى الأسئلة وقال وهو يجذبه بعيد عنا :

- أنت ترى يا جندى أننا فى موقف لا نحسد عليه السيارة معطلة بسبب الوقود فلا نستطيع أن نعود لننفذ الخطة سننتظر هنا حتى تمر بنا أى سيارة أخري ونستولى عليها لنكمل ما بدأناه سويا لا تخف هذا السودانى يخرف فهو منذ أن قبضنا عليه وعلم بما ننويه وهو يريد أن يهرب منا ليبلغ السلطات عن خطتنا والآن ستبتعد أنت حوالى مائة متر أمامنا وستوقف أى سيارة قادمة من أى الاتجاهين وسنستولى عليها لمتابعة خطتنا :

- ولكن يا سيدى أنت لا تخدعنى ؟

صرخ الأستاذ بشير قائلاً :

- بل أنه يخدعك فهم سيهربون عبر الحدود الأردنية قاطعه أحمد عنبر صارخا .

– أسكت يا خائن الأمة كيف تؤيد هذا الاعتداء الغادر وتريد أن تستمر فى خدمة الغاصبين

صرخت محذرا أحمد عنبر :

– أسكت يا أحمد لا نستطيع أن نختلف الآن

لكن كان الأوان قد فات فقد أشهر عبد السلام مدفعه الرشاش فى وجه قائدة وهو يقول محذرا :

– تريد أن تخدعنى وتساعدهم لماذا ؟

قاطعه قاسم محتدا :

– هل جننت يا جندى ؟ انتباه

هز عبد السلام رأس ساخرا وأضاف .

– أنت مقبوض عليك يا سيادة العقيد أنت وهؤلاء .. ، تعال يا بشير خذ سلاحه .. ، لا سامحكم الله حولتني إلى سارق ولكنى سأسلمك أنت ومجموعتك التى تحاول تهريبها إلى نقطة الحراسة التى غادرناها منذ قليل :

– وماذا ستقول لهم ؟ ستقول لهم أنى خدعتك وأنك كنت ستشترك معى فى سرقة البنك .. ؟

تدخل بشير وهو يقترب من قاسم بحذر وقال .

- لا تدعه يخدعك مرة ثانية ولا تخف أنا سأؤيدك فى أى قول تقوله

نظر عبد السلام إلي بشير بطرف عينيه دون أن يرفعها عن قاسم ثم قال :

- في هذه الحالة لم تترك لى يا قاسم أى خيار آخر غير أن أتخلص منك وأعود مع المجموعة وأقول لهم هناك أنهم حاولوا الهرب وقتلوك ولكنى استطعت وحدى القبض عليهم

ضحك عبد السلام فى هيستيرية وأضاف :

- سيعتبروننى بطلا وفى هذه الحالة لابد سأنال وساما

سكت عبد السلام لحظات راح ينظر فيها إلى العقيد قاسم نظرات مملوءة بالغيظ والحقد ثم قال أخيرا :

- أنا آسف سيدى العقيد لقد خدعتنى ولذلك لابد أن أقتلك ..

قاطعه بغير خوف قائلا :

- عبد السلام اغتنم الفرصة كن معى .. إنك غير مقتنع بهذه الحرب وسأشهد أنك لم تكن من مجرمى الحرب وأنك ساعدت الأشقاء وسيشهد الجميع معى

اتجه قاسم إلينا متسائلا :

- أليس كذلك ؟

أجبنا كلنا معا :

- نعم .. نعم سنشهد .

وتدخل بشير مرة ثانية محذرا .

- لا لا تصدقهم .

جز عبد السلام على أسنانه وقال وهو يضع إصبعه فوق زناد المدفع الرشاش .

- ودع دنياك يا قاسم هذا جزاء الخداع والمخادعين

صحت محاولا إنقاذ الموقف :

- توقف يا عبد السلام سنعود كلنا معك وسنعطيك ما تشاء من الأموال فقط دع الرجل يرحل دع العقيد

– اسكت أنت

قاطعنى عبد السلام دون أن يبعد عينيه عن قاسم وتأكدت لحظتها أنه هالك وأننا هالكون لا محالة بعده فقلت مرة أخرى محاولا لفت انتباهه :

– انظر معي دولارات حوالى ألف دولار خذهم إنهم لك ، وعندى أكثر من هذا فى البيت .. سنعود كلنا وأعطيك ما تشاء

التفت عبد السلام ناحيتى ليتأكد إن كنت صادقا وفى نفس اللحظة كان بشير يتقدم من قاسم ليأخذ منه سلاحه وكانت تلك اللحظة كافية للعقيد قاسم الذى اندفع بشدة فى اتجاه عبد السلام دافعا بشير فوقه وانطلقت عدة رصاصات أصابت بشير فى ذراعه قبل أن ينجح قاسم فى خطف المدفع من يد عبد السلام فى نفس اللحظة التى دفعت أنا فيها عبد السلام وبشير إلي الجنب فسقطا فى الوحل .. ووقفا بسرعة يحاول كل

منهما أن ينظف نفسه دون فائدة ونحن جميعا نراقبهما وأخذ عبد السلام يلوم على بشير قائلا

– ما هذا الذى فعلت ؟ هكذا أنتم دائما فى السودان تورطون أنفسكم فيما ليس لكم به علم وتورطون الأخرين معكم كيف سمحت له أن يدفعك على يا أغبى مخلوقات الله

قاطعه قاسم آمرا :

– حسنا توقف عن الشكوى

أضاف موجها كلامه لنا .

– لابد أن نتحرك من هنا بسرعة لابد أن نقطة الحدود سمعت الطلقات

قلت معترضا :

– كيف سنتحرك بدون سيارة ؟ أمامنا على الأقل عشرة كيلو متر لنصل إلى مفترق الطرق المؤدى إلي الحدود الأردنية ثم أمامنا لا أدرى كم من الكيلومترات

حتى نصل إلى نقطة الحدود الأردنية وأيضا يجب أن لا ننسى الجريح الأخ جابر

كان قاسم ينظر ناحيتى بدون أن يعلق حتى سكت فأطرق برأسه لحظات وتحرك عبد السلام فى مكانه فرفع قاسم رأسه وأشار له بالمدفع الرشاش محذرا ثم قال موجها حديثه لى :

– نعم أعرف بكل هذه المشكلات ولكن أنت الذى أصررت أن نصطحب الأخ جابر وسنتعاون كلنا فى حمله هيا ابحثوا عن أى شئ يصلح لعمل نقالة وأنت يا أخ بدر عليك أن تبحث عن وسيلة لتقييد هذين، بدء بدر بعبد السلام فقيده من يديه بالرباط الضاغط الذى أخرجه من حقيبة الإسعاف الأولى ثم كمم فمه بقطعة كبيرة من البلاستر وقال لقاسم :

– هل أقيد رجليه أيضا ؟

– لا لأنه سيمشى معنا قال قاسم باختصار ثم نظر إلى

وقال مندهشا .

- ما هذا ؟ لن يصلح هذا قيدا

- بل سيصلح أنه متين وعلى كل لا يوجد بديل .. هل لديك حل بديل ؟

كنت أحاول أن أخرج الأستاذ جابر العويضى من السيارة عندما لمحت غطاء السيارة الذى يستخدم للتمويه والمصنوع من قماش الخيام فجذبته ووضعته على الأرض وجاء أحمد عنبر وتعاون معى لا نزال الأخ جابر من السيارة وأرقدناه على الغطاء وثنيت الأطراف فوق بعضها وقاسم يراقبنا حتى انتهيت فقال آمرا عبد السلام وبشير :

- هيا أنت وهو احملا الأستاذ .. فك يا بدر قيوده

تذمر بشير قائلا :

- ولكنى مصاب في ذراعى ولن أستطيع حمل الأستاذ

تدخل أحمد قائلا :

– سأفك رباط عبد السلام وسأحمله أنا وهو .. يدك معى يا عبد السلام

تململ عبد السلام وهدده العقيد بإشارة من يده فتقدم وحمل الأستاذ وبدأنا السير بشير فى المقدمة وهو يحمل ذراعه المصابة وبجانبه بدر ليراقبه كى لا يستطيع الهرب يتبعهما أحمد عنبر وعبد السلام وهما يحملان الأخ جابر من الأمام وحمل قاسم أحد أطراف المحفة من الخلف وحملت أنا الطرف الآخر بجانبه بعد فتره من الصمت ونحن نسير قال أحمد عنبر لعبد السلام :

– من أين ؟ من بغداد ؟

– لا من كربلاء .

– آه إذن أنت فلاح .

– نعم وتركت أرضى من أجل هذا .. وسأقتل فى أرض غريبة بدون فائدة وبدون أن ..

حبس صوته وراح يبكى سكت أحمد محترما حزنه ثم قال :

- الحكومات تضيع الشعوب إذا ما تحكم فيها قادة بلا ضمير ولا بصيرة .. والمصيبة أنهم يجلسون فى راحة ويتركون عامة الشعب فى معاناة

قاطعه عبد السلام وقد استطاع أن يتمالك نفسه قليلا :

- نعم هذا صحيح أنظر إلينا .. ما حالنا ألان تائهون بكل ما فى الكلمة من معان فى الليل والصحراء

صدق الشاعر الشعبى العراقى القديم حين قال

تلعب دومــلة وكاغد حكومـــــة شلون مرتاحة
من ملهى لحــد ملهى ومن ساحــــة لعد ساحة
ما تدرى الشعــب ما لوم ساعة وكير صياحه

- ٥ -

بعد حوالى ساعة من السير الحثيث التفت للخلف بالصدفة ربما لأرى مدى بعدنا عن السيارة وكم قطعنا ؟ وكان هذا من حسن حظنا فقد رأيت أضواء سيارة آتية من خلفنا فصحت محذرا المجموعة :

- هناك سيارة قادمة نحونا

تسائل قاسم وهو يلتفت إلى الخلف دون أن يرفع عينه عن عبد السلام أو بشير :

- أين ؟

وضعنا جابر فى منتصف الطريق وقدرنا أن السيارة لابد ستقف ولن تدهسه وأنا أقول له مشجعا .

- لا تخف يا أستاذ سنكون على مقربة منك

أمسك جابر يدى وضغط عليها مشجعا وقد شحب لونه لا أعرف هل بسبب جرحه أم من الخوف ولكنه أبدى تماسكا وشجاعة ولم يقل سوى كلمتين :

- الله حارس .

قلت لقاسم .

- هل تعتقد أننا نستطيع أن نستولى عليها ؟

أجاب وهو يتراجع للخلف حتى لا يغيب عبد السلام عن عينيه مشيرا إلي المدفع الرشاش وتسليحه الشخصى .

- لا أعرف، لابد أن نرى أولا كم عدد من بها وماذا تحمل من قوات وتسليحهم ، نحن ليس معنا إلا هذا ومسدسى

قلت مقاطعا وأنا أشير إلى عبد السلام وأحمد :

- هيا بسرعة سنحمل الأخ جابر بعيدا عن الطريق

- لا .. لا أتركه

قال قاسم وهو يصعد بظهره فوق تل رملى قصير ليتمكن من رؤية أفضل ثم أضاف بعد لحظات :

– أنها حافلة .. بسرعة أظن أننا نستطيع أن نأسرها

– هل سنترك الأخ جابر فى منتصف الطريق .

– نعم .. نعم سنستخدمه كطعم لإيقاف الحافلة على ما أظن تحمل مجموعة من الجرحى أو الأسرى ، هيا بسرعة انقلوه هنا ، من منكم يستطيع أن يحمل سلاحا ويستخدمه إذا استدعته الظروف لذلك .. ؟

– أنا

قال أحمد عنبر وهو يتجه إلى قاسم ولكنى أسرعت باختطاف المسدس من يد قاسم وأنا أقول :

– سأتولى أنا هذه المهمة

قال قاسم موجها كلامه لى :

– عليك بحراسة هذا والسودانى . أقتل أيا منهما إذا حاولا التحرك لإنذار السيارة وخذهما بعيدا عن هنا

مسافة كافية ولا تعد إلا إذا ناديتك وأنت يا بدر .. ويا أحمد كونا مستعدين للهجوم بمجرد أن تقف الحافلة اهجما على السائق من الناحيتين وأنا سأتولى الباقى اختبئا هنا على جانبى الطريق

اعترضت وقلت وأنا أسلم المسدس :

– سأبقى أنا معك يا قاسم خذ يا أحمد المسدس

ناولته المسدس فى يده بطريقة لا يستطيع أن يعارضها رغم احتجاجه وأضفت دون أن أعطيه فرصة للكلام

– هيا يا أحمد إذا فعلا أى شئ تخلص منهما وأهرب إذا لم ننجح نحن ونلحق بك كانت كلماتى الأخيرة سببا كافيا لا قناع أحمد بالانصراف ومعه أسيريه وأقبلت الحافلة بسرعة متوسطة وكان توترنا يتزايد كلما زاد اقترابها من مكان اختفائنا خلف تل صغير تكون من الكثبان الرملية وبدت السيارة عن بعد كأنها سيارة لعبة أطفال وكانت الشبورة المسائية

تلفها فى مشهد فريد من نوعه جعلنى أحس أننى أعيش داخل قصة مسحورة من قصص الماضى الخالى وقد خرجت السيارة منه كأنها جاءت من كهف زمنى سحيق مملوء بالضباب والدخان وعندما اقتربت الحافلة من جابر لمحه السائق فى آخر لحظة وتوقف بصعوبة قبل أن يمر فوقه وتوالت الأحداث بسرعة كبيرة فقد نزل السائق وأطلق قاسم دفعة من رشاشة فى اتجاهه فأصابه فى مقتل وخرج جريا في اتجاه السيارة الجيب خلف الحافلة ولم نكن نراها وهو يطلق الرصاص عليها من كل جانب وفى نفس الوقت هاجمت أنا وأحمد عنبر حارس الحافلة وتمكنا منه قبل أن يتبين ما حدث وعندما دخلت الحافلة وجدتها تحمل مجموعة من الجرحى والأسرى الكويتين مما سبب لى فرحة غامرة أولا لأننا وجدنا وسيلة مواصـــلات لنقطع بها ما تبقى من الطريق وثانيا لأننا

أنقذنا مجموعة من أبناء جنسيتى قلت لهم :

- لا تخافوا لقد أرسلكم الله لنا وأرسلنا الله لكم لننقذكم ولتنقذونا

دخل قاسم من باب السائق وجلس خلف عجلة القيادة و فى نفس الوقت الذى تسائل فيه أحد الجرحى :

- هل أنتم كويتيون ؟

قال قاسم بلهجة عراقية بحتة .

- الله أرسلكم لنا .. هيا يا حمد إلى الحرية

قال الجريح خائفا .

- من أنتم قطاع طرق ؟

أجبته منشرحا :

- لا يا أخى نحن بعون الله سنتجه بكم إلى الحدود الأردنية اطمئن يا أخى.

أنطلق قاسم بالحافلة حتى لحقنا ببدر ومجموعته فأطلق نفير الحافلة فى نغمة مميزة مرحة وتوقف بجانبهم وفتح الباب ولكن انتهز بشير الفرصة

لانشغال بدر معنا وجرى مختفيا خلف أحد التلال الرملية القريبة وقال قاسم لى :

– دعه سنصل قبله إلى الحدود ولن يلحق إذا حاول العودة إلى نقطة التفتيش أن يبلغ عنا فسنكون قد عبرنا الحدود.

نسينا فى غمرة الفرحة السيارة الجيب التى كانت لا تزال صالحة للسير وصعد عبد السلام داخل الحافلة مبيتا الغدر بقائده وبمجرد أن وقف إلى جواره حتى أخرج من ملابسه خنجرا حادا طعن به قاسم فى صدره وبطنه وقاسم يقول له متألما :

– لماذا لقد عرضت عليك حياة أفضل ؟ لقد هيأت لك طريقا للخلاص !

سقط قاسم على أرض الحافلة والتفت عبد السلام إلىَّ ووقف ممسكا خنجره فى مواجهتي ورمى بدر مسدس قاسم ناحيتى فتلقفته بسرعة وأشهرته فى وجهه ولكنه قال متهكما :

- لن تستطيع أن تستخدمه أعطنى هذا المسدس

أخذ يقترب منى وهو يردد كلماته وأنا أرد عليه :

- توقف مكانك يا عبد السلام لا تضطرنى لأن أقتلك

لم يبال عبد السلام بتحذيراتى له وبالفعل لم أجد فى نفسى القدرة على قتل إنسان وفى اللحظة الأخيرة تمكن قاسم من إطلاق دفعة من المدفع الرشاش مصيبا عبد السلام فى مقتل حيث سقط على وجهه بعد أن حاول أن يتشبث بى وقفزت من فوقه وجريت نحو قاسم الذى قال قبل أن يفقد وعيه :

- اتجه بسرعة إلى الحدود ستصل إن شاء الله قبل طلوع الشمس الله معكم

اتجهت نحو عجلة القيادة ثم عدت وأنا أقول له :

- تماسك يا قاسم لابد أن تعيش

قاطعنى بدر قائلا :

- ما زال نفسه يتردد يا أستاذ حمد لابد أن نتحرك من هنا بسرعة . أرجوك يا أستاذ ..

- بسرعة احمله معى للخلف

تعاونا أنا وبدر وأحمد فى حمل قاسم وأرقدناه على أحد الكراسى الخلفية ثم عدت وجلست خلف عجلة القيادة وانطلقت بالحافلة وبدا الطريق طويلا لا يريد أن ينتهى وبعد حوالي ربع ساعة قال بدر الذى رجع إلى مؤخرة الحافلة حيث مكان قاسم :

- هناك سيارات آتية بسرعة نحونا كم المسافة الباقية إلى الحدود الأردنية ؟

أجبته صارخا :

- لا أعرف ربما عشر دقائق أو أكثر

قال بدر صارخا هو أيضا :

- ألا تستطيع أن تسرع أكثر من هذا أنهم يقتربون منا بسرعة كبيرة

صرخ متعجبا وأضاف :

- أن بشير معهم أنهم يطاردوننا أسرع بالله عليك سيلحقون بنا أسرع .. أسرع .. أسرع

قلت متوترا :

- إننى أضغط على البدال بأقصى قوتى، الحافلة لا تريد أن تستجيب

بدأت الحافلة تتجاوب معى وتزيد من سرعتها تدريجيا ولكن كانت السيارة الجيب أخف منها وأسرع وحاولت أكثر من مرة تجاوزى ولكنى أخذت أسير فى خط متعرج حتى لا أسمح للمطاردين بأن يتخطونى إلا أنهم نجحوا فى النهاية فى محاذاتى فاندفعت إلي الجانب ضاربا سيارتهم بعنف فانحرفت خارج الطريق وانقلبت ورفعت قدمى عن بدال البنزين مخففا السرعة التى كادت تعرضنا جميعا للخطر ونظرت من الزجاج الخلفى لأجد راكبى الجيب يحاولون الخروج منها وقد نجح أحدهم في هذا وراح يطلق نيران بندقيته ناحيتنا ولكننا كنا قد ابتعدنا بدرجة أخرجتنا من نطاق رصاصاته الغادرة وانطلق ركاب الحافلة فى التصفيق وقد بدت على وجوههم الفرحة خصوصا عندما لمحنا

نقطة الحدود الأردنية تقترب منا بقدر اقترابنا منها
بسرعة متأنية

*تمت*

سيرة ذاتية

الاسم الكامل : محمود النبوى محمد حسام الدين حجاج

اسم الشهرة : محمود حجاج

الجنسية : مصرى – عربى

المؤهلات :بكالوريوس تجارة – جامعة حلوان– عام ١٩٧٠

دراسات عليا : دبلوم نظم معلومات الحاسب الآلى أكاديمية السادات للعلوم الإدارية – عام ١٩٨٩

دورات أخرى : مقدمة الكمبيوتر – لغات الكمبيوتر ( بيزك – كوبول) من الجامعة الأمريكية بالقاهرة

E- mail: mahmoud_haggag@hotmail.com

المؤلفات المنشورة : ـ

أولا : الكتب العلمية :

١- علم نفسك مقدمة أساسية فى مبادئ علوم الكمبيوتر ( عربى - انجليزى) .. الناشر المؤلف عام ١٩٨٦ توزيع مكتبة عالم الكتب بالقاهرة ٣٨ ش. عبد الخالق ثروت

٢- الكمبيوتر والإدارة للمدير الناجح ( مع أمثلة تطبيقية فى تحليل النظم ) .. الناشر المؤلف عام ١٩٨٩ توزيع مكتبة عالم الكتب بالقاهرة ٣٨ ش. عبد الخالق ثروت

٣- مجلة كمبيو طفل - مجلة مصورة لتبسيط علوم الكمبيوتر للأطفال - العدد الأول ١٩٩٦ الناشر المؤلف

ثانيا : الكتب الأدبية : -

١ - رواية الموتى يثأرون - عام ١٩٨٦ الناشر المؤلف توزيع عالم الكتب شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة

٢ - رواية رشوة ما تمت - عام ١٩٨٧ الناشر المؤلف = توزيع عالم الكتب بالقاهرة

٣ - تعالى اليَّ {( شعر ) - يتضمن سبعة قصائد باللغة الإنجليزية)} - عام ١٩٨٧ الناشر المؤلف - توزيع عالم الكتب بالقاهرة

٤ - رواية أطول نصف يوم فى التاريخ - عن ملحمة حرب اكتوبر ١٩٧٣ المجيدة الناشر المؤلف عام ١٩٩٥ توزيع عالم الكتب بالقاهرة

٥ - الحرق الأوسط - مجموعة قصص قصيرة عام ١٩٩٥ الناشر المؤلف توزيع عالم الكتب بالقاهرة

٦ - حواديت - ديوان شعر عامية عام ١٩٩٨ الناشر المؤلف توزيع عالم الكتب بالقاهرة.

٧ - الزمن الآخر {( شعر ) - يتضمن ثلاثة قصائد باللغة الإنجليزية)} عام ١٩٩٨ الناشر المؤلف توزيع عالم الكتب بالقاهرة

٨ - حكاية الغوريلا - رواية بوليسية كوميدية للأطفال عام ٢٠٠٠ الناشر المؤلف توزيع عالم الكتب بالقاهرة

٩ - طائر الصدق - مسرحية كوميدية للأطفال ٢٠٠٤ الناشر المؤلف توزيع عالم الكتب بالقاهرة.

١٠ - سياحة نقدية - نقد الشعر المقارن ٢٠٠٥ النشر بمساهمة منتدى المثقف العربى وعالم الكتب

١١- على قهوة زرقاء - رواية - ٢٠٠٦

١٢ - العملية الإرهابية - مجموعة قصص قصيرة ٢٠٠٦

١٣ - الخروج إلى العودة - رواية - ٢٠٠٦ -
عن الغزو العزاقي للكويت.

١٤ - أشعار متنوعة وقصص قصيرة ومقالات سياسية واقتصادية واجتماعية منشورة بجميع الصحف والمجلات القومية ( جريدة الأهرام - جريدة الأخبار - مجلة حواء - جريدة الحياة المصرية - جريدة العالم اليوم - مجلة الكواكب - مجلة صوت الشرقية - وغيرها)

ثالثا : تحت الطبع :

١ - الجزء الثانى من رواية " الموتى يثأرون"

٢ - رواية للأطفال بعنوان " الذرة"

٣ - ديوان شعر بالعامية

٤ - ديوان شعر بالفصحى .

٥ - " الخريطة" - حرب إبادة العرب - البداية والحلول

٦ - العدد الثاني والثالث من مجلة الأطفال " كمبيو طفل"

٧ - رواية " ما قبل الحرب" عن فترة حكم السادات وما بعدها

## تصويبات

| الخطأ | الصواب | الصفحة | السطر |
|---|---|---|---|
| ما رأيتهم | أما رأيتهم | 9 | 12 |
| أي | أية | 10 | 13 |
| ألان | الآن | 19، 23، 38، 40، 74، 84 | أسطر مختلفة |
| دقعه | دفعة | 10 | 5 |
| أرتددت | أرتدت | 17 | 2، |
| شيئ | شيء | 24 | 7 |
| أسم | اسم | 37 | 6 |
| فأصبر. | فاصبر | 40 | 3 |
| طعام | طعاما | 46 | 4 |
| المحتشدة | المحتشد | 47 | 13 |
| لسعته | لدغته | 49 | 1 |
| مدنيين | مدنيون | 54 | 10 |
| يغرز | يغرس | 65 | 15 |
| العامل | التعامل | 67 | 7 |
| فلسطينيين | فلسطينيون | 67 | 7 |
| زجاجة | وزجاجة | 68 | 7 |
| واحد | واحدا | 72 | 7 |
| يرونا | يروننا | 72 | 12 |
| ستتركوني | ستتركونني | 74 | 6 |
| بعيد | بعيدا | 75 | 1 |
| رأس | رأسه | 76 | 10 |
| سامحكم | سامحك | 76 | 12 |
| كيلو متر | كيلومترات | 80 | 14 |
| بدء | بدأ | 81 | 10 |
| تسائل | تساءل | 85، 90 | 7، |

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس
WWW. egyptianbook. org. eg
E - mail : info @egyptianbook.org. eg